نوري جعفر في بحوثه التي شارك بها عالميا ومحليا

ياسر جاسم قاسم

دأب العلامة نوري جعفر على المشاركة في ندوات ومؤتمرات بحثية كثيرة كان الغرض الاساسي منها التنبيه على قضايا اساسية في تنمية ورعاية المجتمع بصورة تعزى الى اهتمام ببناء الانسان الذي يعتبر الاساس في بناء المجتمعات هو بناء الانسان هذا ما نلمسه من نوري جعفر ... ان اغلب بحوثه التي اتسمت بسمة الشمولية والرغبة في بناء الانسان والامثلة التاريخية الكثيرة التي يبدو ان نوري جعفر كان قد استقاها بدقة من بطون امهات الكتب هذه البحوث شملت العديد من الرؤى حول الطفولة وضرورة الاهتمام بالطفل منذ سنيه الاولى ومرحلة الطفولة ومرحلة الدراسة وضرورة ان يكون للاسرة والمدرسة دور مشترك في بناء الطفل وبالنتيجة بناء الانسان . ان نوري جعفر بهذه البحوث التي نشرها لاول مرة اسهم اسهامة تاريخية في العملية التربوية في العراق بشكل كبير وذلك ومثل بدايات مبكرة كما ويعتبر نوري جعفر ان المدرسة والروضة او الحضانة كلها مؤسسات اجتماعية تمارس وظيفة مشتركة من حيث الاساس وانها يتعاونون مع الاسرة او الاتصال الودي والمباشر بين الاسرة والمدرسة يساعد على فهم الجوانب الايجابية والسلبية لدى الطفل في المدرسة والمنزل للعمل على تقوية النواحي الايجابية وازالة النواحي السلبية بل ان نوري جعفر يطالب ومن خلال هذه البحوث وكما سنرى بالاهتمام بالطفل منذ المرحلة الاولى اي قبل الولادة عن طريق رعاية الحامل جسميا واجتماعيا وعقليا ، وينقل نوري جعفر من خلال هذه البحوث والدراسات لتجارب علمية ميدانية مفادها الاهتمام بالطفل واهمية فترة الرضاعة في بلورة ذهن الطفل وتبيان امور دقيقة جدا تشمل حتى دور مناغاة الام للطفل وابتسامتها بوجهه وتلمسها جسمه ومشاركتها اياه في حركاته العفوية كما ينقل ذلك عن عمل فريق من جامعة هارفارد ، وينطلق الدكتور نوري جعفر من خلال هذه البحوث اعلان حقوق الطفل الذي اعلنته الامم المتحدة في ٢٠/١١/١٩٥٩م.

ومن هنا يتبين اهتمام نوري جعفر في المجتمع المدني ونستطيع القول ان نوري جعفر يعتبر من رعاة المجتمع المدني العراقي الاوائل وذلك لاهتمامه المباشر بصياغة هذه الحقوق الدولية وضرورة اشاعتها داخل المجتمعات كما يتكلم عن رعاية الموهوبين وضرورة القيام بهذه الرعاية وينقل تجارب بعض الشعوب في رعاية الاطفال المتفوقين والموهوبين وقد كتب في هذا المجال بحثين نعمل على نشرهما في هذا الكتاب كان قد اعدهما للمشاركة بندوتين متخصصتين في هذا المجال والشيء المميز لهذه البحوث جميعها هو مزجها الدائم والواضح بين التراث والحداثة والمقصود بالحداثة هنا ما توصلت اليه الدول المتقدمة من تجارب مهمة في مجال بناء الانسان كما انه يعتبر عملية التربية والتنمية بشكل عام من اسس التنمية البشرية منذ بواكيرها الاول ، في حين نرى اليوم من يتناول التنمية البشرية في العراق دون الاشارة الى جهود العلامة نوري جعفر في هذا المجال كما اعد نوري جعفر رؤية حول القدرات الابداعية في مجال العلم والتكنولوجيا وفي مجال الادب والفن مع التركيز على القدرات الابداعية في الرياضيات والشعر ، هذه الدراسة كان قد اعدها المرحوم الى وزارة التربية العراقية لمناسبة دراسة مشروع برعاية التلامذة الموهوبين تمهيدا لتنفيذه في مطلع العام الدراسي ١٩٨٣-١٩٨٤م وأخيرا سيكون لدينا بحثا مختصرا ومهما حول مناهج التربية الخاصة واساليب التدريس فيها وهو بحث نعتبره نموذجا بامتياز ، وكل هذه البحوث تنطلق من مفردة اساسية تركز على بناء الانسان وهي القضية الرئيسة في فكر نوري جعفر، فنوري جعفر عندما يدعو من خلال بحوثه لقضية اساسية، على سبيل المثال ضرورة بناء المعلم ويدعو الى الاهتمام بالمعلمين وتحسين اوضاعهم الاجتماعية واعطائهم المكانة الاجتماعية المرموقة فهم وحدة اجتماعية متجانسة ومتماسكة من ناحية طبيعة العمل الذي يمارسونه ومن ناحية اوضاعهم المعاشية واصولهم الطبقية فانه يدعو بصورة اخرى الى بناء منهم ويلتقي ببناء الانسان فبناء الانسان ينطلق من بناء المعلم فهذا يبني المعلم يبني الانسان الذي يكون نفسه مستفيدا من امكانياته التعليمية كما يدعو نوري جعفر من خلال بحثه الى استثمار الطاقات والاستفادة من التحولات الاجتماعية والتكنولوجية المعاصرة وتعبئة طاقات الشباب وازالة عوامل التخلف المادي والفكري التي عرقلت تطور الشعوب وتسببت بالازمات الراهنة التي يعاني منها المجتمع وشبابه على حد سواء ، وتركيز نوري جعفر على فئة الشباب لاتسامهم بالحيوية والنشاط والتطلع والاستجابة الواعية لجميع التيارات الفكرية المعاصرة فهو يعني بصورة اخرى ان البناء لا يتم الا بالاعتماد على فئة الشباب واستثمار طاقاتهم الفاعلة وعوامل البناء تنطلق منهم وعلى ايديهم ويذكر ما نصه ((لابد لنا من اعادة صوغ الشباب وفق مستلزمات المرحلة التاريخية الراهنة)) .

نستطيع ان نوجز ما تم تناوله بصورة عامة من قبل نوري جعفر في بحوثه التي شارك بها في المؤتمرات المحلية والعالمية بالشكل التالي:/

ان عملية البناء لاتتم الا من خلال بناء الانسان .

2- التركيز على الجانب التنموي سواء كان في مجال التنمية الاقتصادية او في المجال الاجتماعي او الثقافي وابراز هذا الجانب بشكل كبير جدا واعتباره جانب اساسي في البناء.

3- اهتم نوري جعفر باعادة صياغة انظمة التعليم وابراز السلبيات التي تعاني منها كازدحام مناهج الدراسة بموضوعات ادبية وتاريخية كثيرة مبعثرة وجامدة وضرورة الرقي من مستويات التلامذة الفكرية .

4- اهتم نوري جعفر بالطفل وعلمه وصحته تمهيدا لاستكمال بناءه وتوجيهه نحو المستقبل لغرض البناء والنهضة وانشاء جيل مفكر قادر على الاستمرار فكان يدعو من خلال هذه البحوث الى جملة من المفاهيم منها ان يكون هناك حملة صحية مدرسية شاملة يساهم فيها فريق من الاطباء في مختلف الاختصاصات وفي مقدمتهم اطباء الاطفال للقيام بعملية مسح صحي لجميع الاطفال ابتداء من الروضة وان تتخذ الاجراءات الوقائية والعلاجية الضرورية ازاء الاطفال المصابين بالنقص الفيزيائي او العقلي لغرض علاجهم بالطرق السريعة واللازمة .

5- اهتم نوري جعفر بنشر الثقة في نفوس الطلبة ، ونشر الثقة في السلوك والمشاعر فيعتبر الثقة ...

والاسيما في حقل التعليم.

6- تأكيد نوري جعفر على قضية جد اساسية تتعلق بتحرير المرأة وتوجيهها نحو التطوير واعطائها كامل حقوقها وهذه القضية اعتبرها نوري جعفر اساسية في بناء الاسرة وفي تربية الطفل واعتبر ان الاستمرار في غمط المرأة حقوقها وحصر نشاطها في الوظائف المنزلية التقليدية المعتادة يؤدي في اخر المطاف الى تشويه شخصيتها ويحط من منزلتها الاجتماعية ويحرم المجتمع من طاقات كفاءاتها العلمية والاجتماعية ويجعلها ساقطة محترمة ومقهورة كما اعتبر ان تحررها من التزاماتها المنزلية المطولة تحررا تاما وانصرافها الى القضايا الاجتماعية الكبرى وفي الاعباء الوظيفية المهنية يؤدي هو الاخر بنظر نوري جعفر الى مسخ شخصيتها وتشويه حياة الاسرة ويسيء الى تربية الاطفال.

7- ربط كل الافكار بالدماغ فهو المحرك والمسير الاساس للافكار فنوري جعفر يستكمل كل هذه الافكار ضمن محور التأثير المتبادل بين دماغ الانسان ومحيطه الاجتماعي.

8- التركيز على مفهوم الاستثمار البشري والذي في حدود علمنا هو مصطلح جديد غاية الجدة فنوري جعفر يعتبر ان كل الثروات الطبيعية قابلة للنفاذ وهذا ما ركز عليه العلم في سابقه وحاضره ولكن ما عدا الثروة البشرية سوف تبقى بلا نهاية وهو ما ركز عليه ، بالنتيجة فهو ركز على مفهوم بناء الانسان وهذه لازمة اساسية ينبغي مراعاتها لان الاستثمار البشري يعني رعاية الانسان وبعبارة اخرى بناء الانسان هو الاس المهم في الحياة البشرية كما ركز على جوانب رعاية الموهوبين وكيف انهم يمثلون العمود الفقري لبناء الدولة الحديثة كما يحصل في الغرب وفي الجوانب التربوية من تراثنا العربي الاسلامي .

9- التركيز على مفاهيم الماضي والحاضر والمستقبل وتعلقها بالتلامذة فهو نجده يشدد من الاهتمام المفرط بالماضي وتجسيد جوانبه السلبية والغاء نواحيه الايجابية ويعتبر الاهتمام بالحاضر امر ضروري للغاية باعتباره . الحياة في حركتها المتدفقة الصاعدة لا تترك الماضي وراءها والحاضر ليس مرده الى الماضي وانما الى الحياة التي يعتبر الماضي احد تعبيراتها ، كما يدعو نوري جعفر الى ضرورة اظهار الحاضر بمشكلاته وامكانياته منطلق التربية وان يصار الى الماضي بمقدار تعلقه بالحاضر وان يكون الاهتمام منصب على الجوانب الايجابية وتطويرها وفق مستلزمات الظروف المحلية والدولية كل هذا اراده نوري جعفر في سبيل ان يجعل عملية التعليم والتربية بشكل متزامن في سرعة متطورة وانتزاعهما من الركود والتخلف ...

صحيفة (أصداء الزبير)